يوميات

احياناً تشرق الشمس كما في هذا الصباح و تمتلئ الحديقة الخلفية بالطيور؛ يعود الحمام الذي يتسوّل الفُتات في نافذة المطبخ، تعود عصافير الدوري والشحارير السوداء والببغاوات الصغيرة الخضراء تتقافز في شجرة تمر حنّة ضخمةٍ تملأ الباحة الخلفية

خالد النجار

أضواء برشلونة تأتي في ظلمة أمستردام

مثل شتاءِ هُلدرلين

أكتب من هذه العزلة الهولندية. في هذه الأيام المطيرة، ها أنا في ظلمة الخريف؛ أمستردام سماواتٌ تحجبها ستائر الأمطار الشمالية الداكنة، خيوط المطر الكثيفة الشاقولية تحجب الرؤيا، سوى أضواء نوافذ البنايات التي تشتعل انعكاساتها في مياه القنوات والتي تبدو في رداء ضبابي مثل لوحات كلود مونيه وكامي بيسارو التعبيرية. أتذكر كاية بودلير تحت سماء فرنسا التي كان يقاومها بالأفيون، وأرى هُلدرلين في مشغل النجار تسيمر؛ هلدرلين جالساً في جنونه الهادئ، شاخصاً ببصره يتأمل هذه الطبيعة الشمالية نفسها من وراء مربّعات زجاج نوافذ البرج الصغير الملحق ببيت راعيه تسيمر على ضفة نهر النيكار الذي تغنّى به في قصائده. هناك، في ظلمة الجنون، كتب قصائد النافذة. أحياناً تشرق الشمس كما في هذا الصباح وتمتلئ الحديقة الخلفية بالطيور؛ يعود الحمام الذي يتسوّل الفُتات في نافذة المطبخ، تعود عصافير الدوري والشحارير السوداء والببغاوات الصغيرة الخضراء تتقافز في شجرة تمر حنّة ضخمةٍ تملأ الباحة الخلفية؛ الببغاوات التي لا أدري من أين جاءت.

قالت أنيت: «ظهرت فجأةً في هذه السنوات الأخيرة. أكيدٌ أن أحدهم أطلق زوجاً في المدينة وتكاثرت؛ تتذكر تلك السنة في برشلونة؟ لم نكن نرى في سمائها سوى الببغاوات التي تحفر أعشاشها في أعالي جذوع النخيل».

حضرني صديقي باسم النبريص، الشاعر المتغرّب هناك، والذي أخذني إلى زوايا المدينة المجهولة. لباسم حسٌّ عميق بشاعرية الأمكنة. أخذني إلى متحف بيكاسو في المدينة القديمة، داخل زقاق ضيّق مظلم؛ في تلك البناية الجهمة الشبيهة بأديرة القرون الوسطى، ذات الحوائط الحجرية السميكة والمدرّجات والسقوف الواطئة ذات العقود. البناية الصلبة الداكنة المفارقة لرهافة فخاريات بيكاسو وسيراميكه، تلك المخلوقات الطينية السريالية: أباريق في شكل ديكةٍ وخيول جامحة ذات قسَمات مستنفرة، ثيران أسطورية بعيونها الوسيعة توحي بطاقة أرضيّة عاتية؛ مزهريّات رُسمت عليها وجوه البومة بعيونها الدائرية الفظيعة؛ ثمة شبَهٌ سرّي ببؤبؤي عينَي بيكاسو، قطع سيراميك بيضاء عليها رسومٌ دقيقة لقوارب مائلة ومهرجين وشخوص دونكيشوتية مرسومة بضربات فرشات سوداء، وطيور بالأزرق والأحمر وشمس عبارةٌ عن بضع خطوط صفراء برتقالية دقيقة متوازية في شكل دائرة. بيكاسو الذي يشوّه الوجوه ويحوّر أشكال الواقع ليقول الواقع الأعمق.

غادرنا متجر المتحف. أخذني باسم إلى حيّ كلّ أسماء شوارعه توراتية. آه، برشلونة المسيحية الكاتالونية الإسبانية اللاتينية المتوسطية، التي تصعلك فيها بيكاسو قبل أن يسافر إلى باريس، ومن بعده سلفادور دالي. برشلونة التي شهدت فظائع الحرب الأهلية. هناك حضر همينغواي وجورج أورويل ورفائيل البرتي وميغل هرنانديز، الشاعر الثوري الذي بدأ راعياً لقطعان ماشية أبيه وانتهى أسيراً لدى الفرانكيين ومات في سجن مدينة البكانتي. هم الكتّاب الذين صنعوا أسطورتها الحديثة. بدا لي باسم كما لو جاء يبحث عن سيرتهم. سرنا في الليل الصيفيّ تحت ظلال النخيل في الشارع الذي يمتدّ وراء بوّابة قوس النصر؛ أخذني إلى الحواري القديمة الضيقة وراء السور الروماني؛ بيوتٌ ذات بوّابات واطئة كما لو أنّك في مراكش.

عبرنا حي البورن حيث سهرنا عند الصديق دأواي، ثم إلى قصر الموسيقى المشتعل بالأضواء الملوّنة. قال لي «هذا القصر بناه الأهالي من عمّال وطبقة متوسطة». عمارة كيتش كاتالوني؛ بناءٌ ملون يذكّر بمناخات غاودي الفسيفسائية، أغاني البوندولينو الشعبية والرقصات الإسبانيات الملتفّات في الدنتيلا السوداء؛ الراقصات بأحذيتهنّ السوداء ذات الكعوب العالية وعيونهنّ السوداء المخيفة وأحمر الشفاه القاني وأصواتهنّ الجارحة. ثمّ وجدتني في شارع رمبلا، وسط جموع تتكلّم كل اللغات.

كان باسم يسير ويتحدّث عن المدينة بحماس غنائي، ملتفتاً إليّ بكلّيته، يتحدّث كما لو كانت المدينة نصّاً شعرياً. برشلونة التي كتب حولها نصوصاً هي يومياته هناك. نقل بعضها إلى الكاتالونية. بدا لي يسيراً بلا مبالاةٍ بالعالم، كما أبطال جورج أورويل الشباب من الجماعات الفوضوية والشيوعية الذين قدموا من كل أوروبا ما بين الحربين مدفوعين بحسّ ثوري رومانسي للمشاركة في الحرب الأهلية إلى جانب الجمهوريّين. هو مثلهم، الرجل القادم من فلسطين، أرض المعاناة والدم؛ مثلهم، ذهب رأساً إلى الهامش، أصدقاؤه الفقراء والمتسوّلون والمهمّشون؛ الناس الذين أعطيتهم الحياة. كنا نسير في ظلمة الليل الزرقاء. استوقفتنا المرأة المختبلة؛ كانت تقف تستجدي المارّة هناك، قرب كشك السجائر والحلوى وألعاب الأطفال الملوّنة. رأيتني آخذ صور تلك البناية على جادة كاتالونيا بحجارتها الرمادية الضاربة إلى بياض وعمارتها العربية الموريسكية، ذات الأقواس والعقود؛ البناية نفسها في شارع الجزيرة رقم 12 قرب باب البحر في تونس. هناك كانت شقّة الكاتب الإيطالي التونسي غيدو مدينا، الشبيه ببول فاليري؛ بدا لي يمثّل تونس الكولونيالية. بطاقات البريد البيضاء والسوداء والتراموای الكهربائي الأبيض وصفير البواخر في الميناء يتردّد في بيوت المدينة. وذاك الرجل الإسباني غريب الأطوار الذي كان يجلس وحيداً ظهيرة كلّ يوم على رصيف مقهى لونيفير على الشارع الرئيسي، شارع جول فيري، بطقمه الأزرق البروليتاري؛ الرجل الأبيض ذو الشعر الأسود والحاجبين الكثيفين الأسودين. الرجل قوي البُنية، الذي يجلس جامداً سوى حركة عصبيّة متكرّرة لفمه وأنفه، ويرمش كأنّه يطرد ذباباً من على أرنبة أنفه. تدور حكاياتٌ حوله، أنه شارك في الحرب مع الجمهوريين ولما انتصر فرانكو هرب مع من هرب إلى تونس حيث تعيش جالية إسبانية كبيرة منذ أواسط القرن التاسع عشر.

أمستردام في لوحة لـ كلود مونيه (1874)

قطع سيراميك عليها رسومٌ دقيقة لقوارب مائلة ومهرجين

أمستردام سماواتٌ تحجبها ستائر الأمطار الشماليّة الداكنة

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

صورٌ كموج البحر

تأتي للذاكرة، في ظلمة امستردام، المرأة ذات طراز آر ديكو، المعلقة على جدار بيت خالي بشير، والساعة الخشبية الكبيرة، طراز آر ديكو ايضا، بيندولها الاسطواني الفضي الذي ينوس تحت بلور الصندوق. الصور مادة الذكريات، تتلألأ في الكتابة، تعود حسب نظامها السرّي و تكتشف مرة اخرى حياتك التي انفلتت منك، تكتشفها في ضوء الكتابة التلقائية، حيث ترى الاحداث مثل امواج البحر التي تأتي بيضاء عاتية ثم تختفي في ظلمة الزمن.

وقفة مع

إبراهيم بوخالفة

تقف هذه الزاوية، مع مبدع عربي في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه

الجزائر ـ **العربي الجديد**

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

تشغلني بحوث علميّة كثيرة، في الحقيقة. فتحت منذ حوالي شهر مشروع كتاب جديد في النقد ما بعد الكولونيالي، ويتعلّق بالروائي الجزائري عز الدين جلاوجي، من خلال ثلاثيّة ممتعة ومثقلة بعبق التاريخ. إلى جانب ذلك أحضّر لملتقى دولي في تركيا حول أدب الرحلة، وآخر في ألمانيا حول معيقات البحث العلمي، إضافة إلى التزاماتي الأكاديميّة اليوميّة على إيقاع كوفيد-19.

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك القادم؟

آخر ما صدر لي كتاب بعنوان «معارك المسرح» وهو عبارة عن دراسات تطبيقيّة في مسرح السيد حافظ. وعملي القادم هو دراسة في النقد ما بعد الكولونيالي حول روايات عز الدين جلاوجي من الجزائر.

■ هل أنت راضٍ عن إنتاجك ولماذا؟

لست راضياً عن إنتاجي لأسباب موضوعيّة، وهي سياسة النشر المريضة في بلدي. وكذلك هناك سببٌ آخر يجعلني غير راضٍ عن إنتاجي وهو ضعف المقروئيّة في الوطن العربي. وأعتقد أنّ هذه الظاهرة السلبيّة يتحمّل جزءاً منها المثقف العربي.

■ لو قيض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

لست نادماً على مساري الراهن. يمكنني أن أعطي معنى لوجودي من خلال ما أمارس على مستوى الثقافة العالمية وعلى مستوى المؤسسة.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

أطمح إلى استرجاع العرب والمسلمين لدورهم الحضاري الرائد. ومن أجل هذا المبتغى لا بدّ من تغيرات جوهريّة في العقل العربي، لا بدّ من ثورة على الذّات، وإعادة ترميم الصورة السلبيّة عن العرب. ومن هنا يمكن أن ينشأ نظام دولي أكثر عدالة، من شأنه أن ينصف المسحوقين. ويقضي على الأزمات والحروب غير العادلة. إنّ عالمنا اليوم قبيح، ولا بدّ من إجراء عمليات تجميل.

■ شخصيةٌ من الماضي تود لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

أودّ أن تلد أمهاتنا نسخاً من صلاح الدين الأيوبي، لقيادة المسلمين إلى وضعهم الصحيح.

■ صديق يخطر على بالك أو كتاب تعود إليه دائماً؟

أما الصديق، فقد فقدتُ صلتي بالمكان، فأنا مشطور بين بلدين، أحدهما سلمني مفاتيح الجامعة والآخر هو بلد الأسلاف الذي أعيش فيه الآن، والكتاب الذي أعود إليه دائماً هي كلّ مؤلفات إدوارد سعيد، وأخص بالذكر «الاستشراق».

■ ماذا تقرأ الآن؟

أقرأ كتابا بعنوان «الردّ بالكتابة» لبيل أشكروفت وغاريث غريفيث وهيلين تيفن.

■ ماذا تسمع الآن وهل تقترح علينا تجربة غنائية أو موسيقية يمكننا أن نشاركك سماعها؟

أحب سماع مارسيل خليفة وصباح فخري.

أعطي معنى لوجودي من خلال ما أمارس على مستوى الثقافة

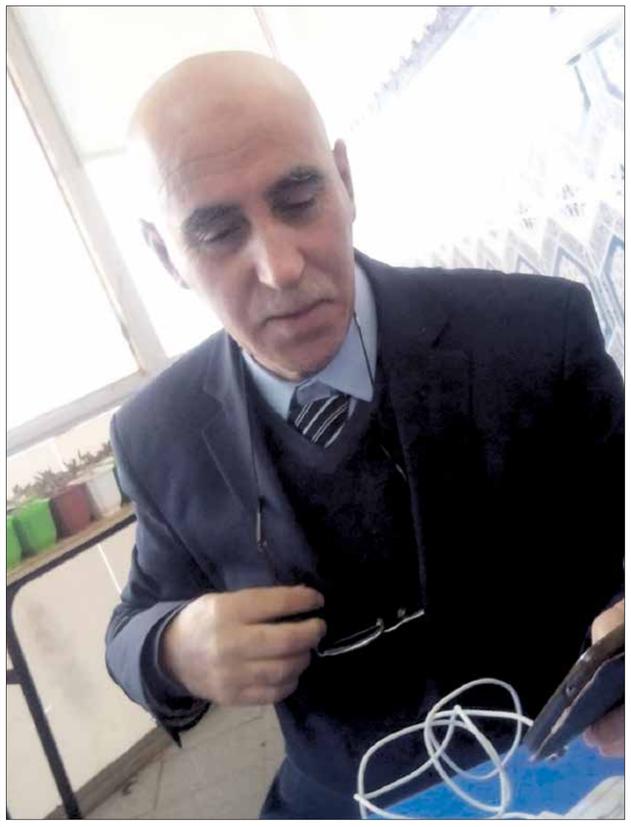
إبراهيم بوخالفة

بطاقة

باحث جزائري من مواليد 1960 بتونس، حاصل على الدكتوراه في الأدب العربي، ضمن تخصّص نقد ثقافي. من مؤلفاته: «أطياف الاستشراق» (2018)، و«صناعة الشرق» (2018)، و«سلطة الأخر» (2019)، و«تمثيل العالم» (2019)، و«مملكة السرد.. دراسات في أدب السيد حافظ» (2020)، و«معارك المسرح» (2020). ويصدر له هذا العام كتاب «التفكير في الآخر.. دراسة في تشكلات الأخرية في الرواية الغربيّة الحديثة».

متابعة

مقهى الأندلس هل تخفي البيروقراطية معالمه هو الآخر؟

ترميم الذاكرة في تستور

بعد انتهاء الأشغال ترميمه، يُنتظر أن يجري تحويل مقهى الأندلس إلى مركز لتقديم التّراث الثّقافي لمدينة تستور التونسية، فهل هذا خيارٌ صائب؟

تونس ـ **ليلى بن صالح**

في السابع من الشهر الجاري، أعلنت بلدية تستور و«وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية» (وهي مؤسسة تابعة لوزارة الثقافة التونسية) عن بدء أشغال ترميم وتهيئة مقهى الأندلس في تستور، وهو معلم ذو طابع أندلسي كمجمل معمار المدينة، بُني في القرن السابع عشر على الأرجح، واستُعمل لأغراض متعدّدة في خدمة المسافرين، ثم جرى اعتماده خلال القرن العشرين كمقهى، وبعد إغلاقه بقي مهملاً لأكثر من ثلاثة عقود رغم جمالياته المعمارية.

بعد انتهاء الأشغال، يُنتظر أن يجري تحويل مقهى الأندلس إلى مركز لتقديم التّراث الثّقافي لمدينة تستور، وذلك طبقاً لاتفاقية بين «وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية» وبلدية تستور. ويشير المخطط الجديد لمقهى الأندلس إلى إنشاء فضاءات لاحتضان التظاهرات الثقافية وتثمين التراث بالمنطقة.

لا يخرج هذا المشروع عن توجّهات معروفة في تونس بتحويل المباني التراثية إلى مؤسّسات تقدّم خدمات ثقافية أو اجتماعية متنوّعة (دور ثقافة، ودور شباب، ومكتبات...)، كما هو الحال مع إقامة الباي الحسيني في قرطاج، التي نجد فيها اليوم مقر «المجمع التونسي للآداب والفنون والعلوم» (بيت الحكمة)، وبيت ابن خلدون في تونس العاصمة الذي يُعتمد منذ أعوام كأرشيف لـ«معهد التراث».

لهذا الطرح وجاهته، حيث إن ملء هذه المباني بمضمون ثقافي أو اجتماعي هو نوع من تنشيطها وإعادتها إلى الحياة بوجه من الوجوه، غير أن هذا الرأي تقابله دعوات بإيجاد صيغ جديدة من الاستفادة من المعالم التاريخية بعد ترميمها. وهنا كثيراً ما جرت الإشارة إلى النزعة البيروقراطية التي تحكم هذه المباني بعد الاستفادة منها كمؤسّسات نفعية، حيث يتحوّل النشاط الجديد إلى تغييب للذاكرة الأصلية للمكان، خصوصاً أن المشرفين عليه عادة ما يكونون موظّفين ليسوا على دراية كافية بأهمية هذه المعالم، وقد يعمدون إلى إغلاق بعض فضاءاتها اتقاءً لكل محاسبة في حال تلفت نقوشها أو ترمّل معمارها.

لا يخفى أن الشق الذي يرفض تحويل المعالم التراثية إلى إدارات ومكاتب كثيراً ما يميل نحو استثمارها سياحياً بربطها مع معالم أخرى قريبة لتشكّل مسارات سياحية تفيد المناطق الموجودة فيها اقتصادياً واجتماعياً. لكن يبقى هذا الطرح أيضاً غير بعيد عن الروح البيروقراطية، وعن نزعة مادية تطمس، في كثير من الأحيان، كل ما هو رمزي، الأمر الذي يُهدر في النهاية الجهود لتثمين المعالم الأثرية والاستفادة منها.

وفي الوقت الذي ننتظر فيه إعادة فتح مقهى الأندلس، ربما تحت مسمّى جديد، لنا أن نتساءل عن حال المدينة التي تحتضنه. هل نجد في تستور حياة ثقافية نشطة واهتماماً جدياً بتراثها حتى يصبح إنشاء مركز لتقديم التّراث الثّقافي أولوية فيها؟ هل خفي على المشرفين على هذه المشاريع أن هذه المدينة الأندلسية هي في حدّ ذاتها متحف مفتوح لولا التشويهات العمرانية؟ ثم، ما العيب في أن يبقى مقهى الأندلس مقهى؟

المدينة في حدّ ذاتها متحف مفتوح لولا التشويهات العمرانية

من مدينة تستور (العربي الجديد)

فعاليات

يُفتتح غداً الثلاثاء معرض **انا آمه** للفنانة اليابانية **شيهارو شيوتا** (1972) في **غاليري كونيغ** في برلين، ويتواصل حتى الثامن والعشرين من شباط/ فبراير المقبل. تقدّم شيوتا أعمالاً تركيبيّة منسوجة يدوياً من خيوط صوفية حمراء لامعة، يطفو عليها مئةٌ وثمانون ألف مفتاح معدنيّ تشبه النجوم.

يوم الجمعة المقبل، 15 من الشهر الجاري، يقام في **قاعة ريو** في تونس العاصمة عرض ونقاش لفيلم **الهربة** لـ **غازي الزغباني**. العمل مقتبس من مسرحية بالعنوان نفسه انطلقت عروضها في منتصف 2019، ومع توقّف الأنشطة المسرحية جرت صياغة العمل ضمن رؤية سينمائية. يشارك في أداء شخصيات العمل كل من: نادية بوستة، ومحمد حسين قريع، والأسعد بوربيع، إضافة للمخرج.

تنظّم **جامعة لورين** الفرنسية، صباح اليوم، عبر تطبيق «زووم»، ملتقىً حول **علم النفس السياسي** يتحدّث فيه الباحث البولندي **ميشال بيليفيتز**، حيث يتناول هذا الحقل المعرفي من زاويتي الفكر الفلسفي ومنطلق العواطف الذي يحكم العلاقات السياسية. من أشهر مؤلفات بيليفيتز: «علم نفس المؤامرة» (2015).

بين 19 و28 من الشهر الجاري، تقام افتراضياً ورشة تدريبية على إنشاء محتوى عربي حول **الجندر** تنظّمه منصّة **ويكي الجندر**. تهدف الورشة إلى تطوير توثيق قضايا العنف الجنسي وإنتاج معرفة سردية حولها من منظور نسويّ واعٍ بتقاطعات القضايا، ولا يحوّلها إلى أرقام أو إحصائيات، كما ورد في تقديمها.